كتب

يُقدّم الناقد والأكاديمي والشاعر العراقي، في كتابه «إيكاروس محدّقًا في شمس القصيدة»، دراسةً عن مفهوم «الميتا شعري»، الذي يعني القصائد التي تتّخذ من الشّعر والشاعر نفسهما موضوعاً لها، متتبّعاً تجلّيه في نصوص مجموعة من الشعراء العراقيّين

حاتم الصكر في مفهوم الميتا شعري وتجلّياته

القصيدة العراقية في عين نفسها

علي صلاح بلداوي

في إطار تتبُّع مشوار «قصيدة النثر»، في العراق تحديدًا، نجد أنّ هذا الفن الشعري قد أخذ مكانته في وقت مُبكّر، منذ شيوعه في لبنان وبقية بلاد الشام وظهور نماذجه في مجلّة «شعر»، كون الكتابة الشعرية في العراق عرفت موجات عديدة من التحوّلات، ولم تكن قصيدة النثر لتُشكّل طارئًا على التاريخ الشعري، إنّما شكّلت تحديثًا متواصلًا للكتابة الشعرية. ورغم المحاولات الكثيرة للإجهاز على قصيدة النثر من قبل التقليديّين، وحتى المجدّدين أمثال نازك الملائكة التي حاولت تفنيد شعرية النثر في كتابها «قضايا الشعر المُعاصر»، إلّا أنّ الأرضية الشعرية في العراق كانت خصبة، وتفاعلت مع التجديد بمثابرة، وتطوّرت من حيث الموضوعات والبناء والأسلوب عبر المراحل الزمنية المتعاقبة.

في كتابه «إيكاروس محدّقًا في شمس القصيدة: الميتا شعري في نماذج من قصيدة النثر العراقية»، الصادر حديثًا عن منشورات «الاتحاد العام للأدباء والكتّاب» في العراق، يتابع الناقد والأكاديمي والشاعر العراقي حاتم الصكر (1945)، حال الكتابة الشعرية وتفاعلها مع نفسها، حيث يقدّم، في سبعة فصول، دراسة عن «الميتا شعري» (القصيدة إذ تتناول الفن الشعري موضوعاً) وتجلّيه في قصائد الشعراء العراقيّين، مع استحضار قصائد لمجموعة مختلفة منهم.

يُشير مصطلح «الميتا شعري» إلى القصيدة المكتوبة عن القصيدة ووصف الشاعر لحال قصيدته من داخلها، حيث أنّ موضوعها هو الشعر، والشاعر هو من يتولّى مهمّة الكلام عنه وعن مفهومه وحالاته ومصادره وعلاقاته بما يحيط به. يحمل مدخل الكتاب عنوان «العنونة الأسطورية والدلالة الرمزية»، وأراد من خلاله الصكر تبيان سبب اختياره عنوان كتابه، وعلاقته بالميتا شعري ونماذج القصائد الحاضرة. فـ إيكاروس، بحسب الأسطورة اليونانية، كان محتجَزًا في سجن مع والده ديدالوس الذي اهتدى بعبقريته إلى فكرة تخلّصهما ممّا هما فيه، حيث استخدم ريش الطيور المتساقط ليصنع منه أجنحة، ثمّ طارا إلى خارج السجن.

ولأنّ الريش أُلصق بواسطة الشمع، فقد حذّر ديدالوس ابنه من الاقتراب من الشمس، غير أنّ إيكاروس أغوته الشمس، فاقترب منها وحدّق فيها طويلًا، فاحترق الريش وذاب الشمع وسقط في البحر. يقول الصكر إنّ «إيكاروس هو تمثيل رمزي لعمل الشاعر في طور الحداثة الشعرية»؛ فالشاعر ما إن تهيّأت له الظروف حتى حلّق بعيدًا عن قيود التقليد التي وجدها مفروضة عليه، وغامر ولم يلتزم بتعاليم الآباء، وراح يُحلّق بعيدًا مُحاولًا الاقتراب من القصيدة التي تُمثّل الشمس في سطوعها وقوّتها. غير أنّه لم يسقط - مثل إيكاروس في الأسطورة، إنّما لا يزال يحلّق ويحاول أن يقترب، وإذا كان جناحا إيكاروس قد احترقا، فإنّ الشاعر لن يحترق. تأتي الأسطورة هنا تأويلًا للتمرّد على الوصايا، والرغبة في التحرّر من الفروض والكتابة خارج الشروط وبأقصى حرية ممكنة.

في قراءة أُخرى للأسطورة

وبالحديث عن الأسطورة نفسها وعلاقتها بالميتا شعري، يقول الصكر: «في قراءة أُخرى للأسطورة، وجدتُني أميل إلى عدّ ما سمّيته «فَناء الشاعر»، بما فيه من حمولة عشق وولَه، نوعًا من الانتصار لذات القصيدة التي تنصرف لنفسها، ومعاينة وجودها، ومسمّاها واشتراطاتها. لأنّ الميتا شعري يُغْني مسبقًا عن أيّة رؤية أُخرى غير تحقيق ماهية القصيدة وذاتها وهويتها وكتابتها، وحتى على مستوى التلقّي»؛ فالشاعر الإيكاروسي يَفنى في قصيدته انتصارًا لها وإثباتًا لوجودها، وهذا ترميز آخر لمهمّة الشاعر ودوره في الاختلاف والتجاوز.

يدرس الصكر في الكتاب النصّ المرتدّ إلى نفسه، والذي لا يذهب إلى مرسل خارجي، فمضمون القصيدة هنا شكلُها وهويتُها. يقول: «الميتا قصيدة تتّسع في مساءلة القصيدة لنفسها، عن تكوّنها وتخلقها وتركيبها، عن حوارها مع نفسها ومع شاعرها، القصيدة الميتا هنا هي استخدام للغة الواصفة لإنجاز نصّ يعيد ملفوظ القصيدة إلى نفسها، سواء بكونها السارد، أو المسرود له، أو المتخيّل عن ماهيتها في التدوين لحظة الكتابة». ولعلّ من الضروري الوقوف عند رأي أورده الناقد في الفرق بين الشعر والقصيدة، فالشعر عنده جنس أدبي وكتلة تُدافع عن مزاياها وهويتها النوعية، أمّا القصيدة فهي نصّ لا يتبع بالضرورة اشتراطات الشعر، موضّحًا أنّ امتياز قصيدة النثر يكمن في «انتقالها بالكتابة من ‹الشعر› بحمولته المكرّسة في التقاليد أو الأطر الفنّية والبنى الجمالية الموروثة والمتكتّلة بقوّة إلى ‹القصيدة›، بما تقترحه من مفاجآت إيقاعية وانزياحات وخروج عن الثوابت، فالقصيدة ابنة نافرة متمردة تهفو للخروج لفضاء حرّ، ولا تنصاع لراع يريد تطويعها وتدجينها وفق تعاليمه وهو الشعر». مفهوم الشعر، هنا، هو ما يكون في إطار التقليد والالتزام التراثي، أمّا القصيدة فهي ما لا تلتزم بكلّ ذلك، بل تتجاوزه، غير أنّ اختلاف التسمية بين «الشعر» و«القصيدة» قد لا يشكّل الخلاف الكبير، إلّا أنه يميّز هذا عن ذاك تبعًا لما تعارفت عليه الثقافة من تسمية وما استحدث فيها من فنون كتابة جديدة.

القصيدة ابنة الشعر المتمرّدة تهفو للخروج إلى فضاء حرّ

حوربت قصيدة النثر حتّى من قبل مجدّدين مثل نازك الملائكة

مصارحة بطريقتين

يستحضر الكاتب نصوصًا لشعراء عراقيّين، كأمثلة تطبيقية تخضع لمصطلح الميتا شعري واشتراطاته، فهي قصائد تتحدّث عن ولادة القصيدة وطور تكوّنها، هي بطريقة ما تعريف بالقصيدة من خلال القصيدة، فتجري مساءلتها بأساليب وأوضاع ومواقف شتّى، كما تُسائل القصيدةُ شاعرَها عن وعيه ورؤيته، فيحاول أن يصفها ضمن شكلها، وكأنّ القصيدة هي من كتبت نفسها ووصفت حالها. وهنا مثال من قصيدة للشاعر صلاح فائق، الذي يصف حالته مع القصيدة ومطاردته لها، فيستعين بكلّ الموجودات حوله لكي توصله بالنص الذي لم يكتبه بعد:

«أريد الوصول إلى قصيدة داخل القصيدة
التي أكتبها الآن
سأنتظر مثلَ صيّادٍ قديم
لأستدرجها إلى أرضي
أكتشف الطريق إليها
ليس من هنا
ربما من ظلّ شجرة أو من ورائها
الجمال لون هذا الكون
ضبابه في كلّ مأوى
وفي الأعالي التي من زجاج
بدأتُ أرى من بعيد مشاهد جديدة
ريح تتغنّج هي تتقدّم نحوي
سأتخذها مرشدًا إلى دهاليز ومقاطع
القصيدة».

تدعو إثارة الأسئلة المقلقة مثل: ما نكتب؟ ولمن؟ وكيف؟ إلى التأمّل في ما نكتبه والتفكير بالسبب الذي يدفعنا إليه، وتحديدًا الكتابة عند شعراء «المقاربة الإيكاروسية»، كما يسمّيهم الصكر، الذي يقول: «الكتابة هنا هي مصارحة بطريقتين، أوّلًا: الإفصاح عن عقيدة الشاعر في الكتابة وموقفه منها، وتخيُّل ما يجب أن تكون عليه الكتابة كفعل وموقف. وثانيًا: التحديق طويلًا في جدوى الكتابة وتحميل القصيدة مهمّة التساؤل واللايقين، ما يعكس قلقًا حول جدوى الكتابة ذاتها، وغالبًا التساؤل حول تداولية المكتوب ومدى نجاعته وأثره». وربّما يثير هذان السببان القلق الدائم عند الكاتب الذي يبحث عن إجابة لهما من خلال ما يكتب، حيث تكاد تكون القصيدة هنا اعترافًا شخصيًا بما يعتقده الشاعر في الكتابة، وما يُجهد نفسه في التفكير فيه من جدوى ما يفعل ونتائجه.

اختصّ الكتاب بالشعراء العراقيّين وقصائدهم كحقل تطبيقي، كون القصيدة العراقية، على حدّ قوله، لم يُفتها التأمّل في إمكانات الميتا شعرية، وكون الشاعر الحداثي يتعامل مع القصيدة كتجسيد للرؤية الشعرية نصًا، وسيُتبَع الكتاب، مثلما يشير حاتم الصكر، بدراسة أُخرى تشمل النتاج العربي بشكل أشمل.

(شاعر من العراق)

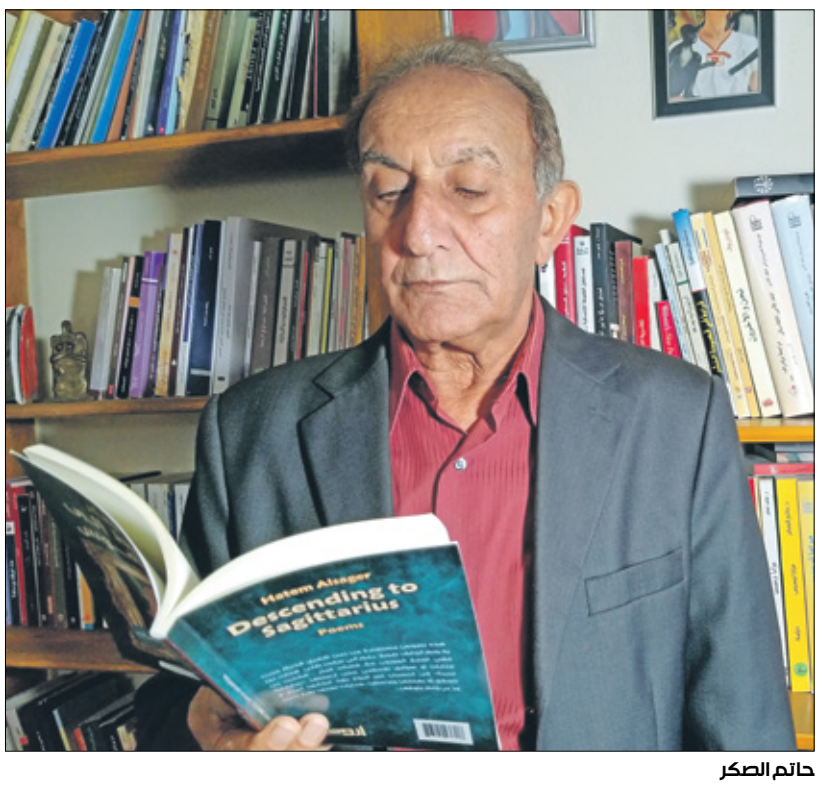

حاتم الصكر

أقنعة السيرة

حاتم الصكر ناقدٌ وأكاديمي وشاعر عراقي من مواليد بغداد عام 1945، يقيم في مدينة ناشفيل الأميركية منذ 2011. من إصداراته الأخيرة: «كُن شاسعاً كالهواء: قراءة في دفاتر غسان غائب» (2021)، و تنصيص الآخر: المثاقفة الشعرية والمنهج ونقد النقد» (2020)، و«الثمرة المحرّمة: مقدّمات نظرية و تطبيقات في قراءة قصيدة النثر» (2019)، و«أقنعة السيرة و تجلّياتها: البوح والترميز في الكتابة السير ـ ذاتية» (2017).

نظرة أولى

للمفكّر المغربي عبد الله العروي، صدر عن «المركز الثقافي للكتاب» كتاب بعنوان **دفاتر كوفيد**. العمل، الصادر بالفرنسية، هو الجزء الخامس من سلسلته «خواطر الصباح»، التي يدوّن فيها يوميّاته ويتناول قضايا تتعلّق بالمغرب والمنطقة العربية. وفي هذا الجزء، يوثّق العروي يوميّاته خلال فترة جائحة كورونا، مستعرضاً ما يشهده العالم من تحوّلات على مستوى السياسة والثقافة والاقتصاد، ومتطرّقاً إلى العلاقات بين المغرب والجزائر، وقضية الصحراء، إضافة إلى مواضيع تتعلّق بالإسلام والفلسفة والغرب والموت، كما يعود إلى فترة إقامته ودراسته في باريس.

عبارات الطوفان: حرب الكلمات والسرديات، عنوان كتاب للصحافي التونسي بسام بونّني صدر عن «دار نيرفانا»، وفيه يُضيء على عبارات جرى تداوُلها على نطاق واسع خلال العدوان الصهيوني على غزّة، لتُشكّل معجماً «يُؤسّس لسردية جديدة تُعيد للقضية الفلسطينية مكانتها في المنطقة العربية والعالم»، مثلما نقرأ على غلاف العمل الذي يصفه مصطفى البرغوثي في تقديمه بأنّه «وثيقة بحثية شيّقة لا غنى عنها لأيّ كاتب أو إعلامي أو سياسي». يُذكَر أنّ بونّني استقال من «هيئة الإذاعة البريطانية» في أكتوبر الماضي احتجاجاً على انحيازها للإبادة.

ضمن «سلسلة أطروحات الدكتوراه» في «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، صدر كتاب **التمرّد والمقاومة في الشرق القديم: بلاد الرافدين وسوريا في الألف الثاني قبل الميلاد**، للباحث الفلسطيني حكمت درباس. يشتمل الكتاب على ستة فصول تتمحور حول موضوع التمرّد والثورة والمقاومة في الشرق القديم وبلاد الرافدين والشام في الفترة 2000 - 1200ق. م. وما صاحبها من سقوط دول وقيام أُخرى، عبر تتبّع أمثلة حول علاقة الدولة بمناوئيها، وكيف كانت أشكال التمرّد القديم ودوافعه؟ وهل رفعت احتجاجاتٌ شعاراتٍ تخصّ العدالة وما شابهها؟

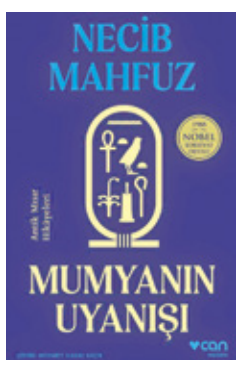

يقظة المومياء عنوان الترجمة التي أنجزها المُترجِم والأكاديمي التركي محمد حقّي صوتشين لمجموعة «همس الجنون» القصصيّة للروائي المصري نجيب محفوظ (1911 - 2005)، والتي كانت قد صدرت بالعربية لأول مرّة عام 1948، بعد نشرها متفرّقة خلال فترة الثلاثينيات في جرائد ومجلّات مختلفة، وتُمثّل المرحلة التي تناول فيها صاحب «نوبل» (1988) الحضارة الفرعونية. يعدّ صوتشين من أبرز مُترجمي الآداب العربية إلى التركية، وفي رصيده عشرات الترجمات لأدباء وشعراء عرب من مختلف المراحل التاريخية، ومن آخر ترجماته هذا العام مختارات من شعر المتنبي.

للباحث والأكاديمي الجزائري أحمد دلباني، صدر عن «دار خيال» كتابٌ بعنوان **خطيئة الدفاع عن قايين: مأساة غزّة وتهافُت الفلاسفة**. يُمثّل العملُ إدانةً لشخصيات فكرية وثقافية غربية ساندت الصهيونية في جرائمها ضدّ الإنسان الفلسطيني، مُعتبراً أنّ المثقّف الغربي، الذي طالما سحر النُّخب العربية بدفاعه عن قيم الحقّ والعدالة والحرّية الإنسانية، سقط أخلاقياً في الحرب على غزّة، بعد أن أصبح موظّفاً عند زبانية جماعات الضغط الصهيونية ومنابرها الإعلامية، واستقال من وظيفته النقدية ليتحوّل إلى «كلب حراسة» للوضع الجائر القائم.

صدرت عن «العائدون للنشر والتوزيع»، طبعة جديدة من كتاب **ثورة 36 - 39 في فلسطين: خلفيات وتفاصيل وتحليل** للروائي والناقد الفلسطيني الشهيد غسّان كنفاني. الكتاب الذي صدر لأول مرّة منذ أكثر من خمسين عاماً، يقف عند أهداف الثورة الفلسطينية الكبرى التي انحصرت بالعمّال والفلاحين والمثقّفين بشكلٍ أساسي، وتمثّلت في الوقف الفوري للهجرات الاستيطانية اليهودية، وحَظْر نقل مُلكيّة الأراضي العربية إلى اليهود، وإقامة حكومة فلسطينية ديمقراطية، وكيف تلقّت ضربات كبرى من القيادات المحلّية الفلسطينية، والأنظمة العربية، والحلف الإمبريالي-الصهيوني.

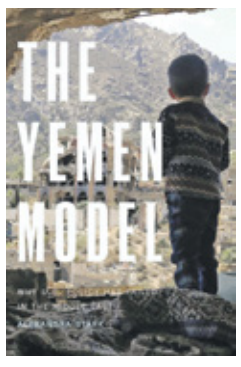

نموذج اليمن: لماذا فشلت السياسة الأميركية في الشرق الأوسط؟ عنوان الكتاب الذي صدر عن «منشورات جامعة ييل» للباحثة ألكسندرا ستارك. تجادل المؤلّفة بأن النهج الأميركي تجاه اليمن يُقدّم تصوّراً حول إخفاقات السياسة الخارجية الأميركية في جميع أنحاء الشرق الأوسط، فعلى الرغم من انجرارها في كثير من الأحيان إلى صراعات داخل اليمن، فإن الولايات المتحدة لم تحقق أهدافها السياسية لأنها ركزت بشكل ضيق على مكافحة الإرهاب والمنافسة الجيوسياسية الإقليمية مُتجاهلة مصالح الشعب اليمني بالاستقرار والرفاه، مثلما تجاهلت بقية شعوب المنطقة.

عن «المركز القومي للترجمة»، صدر المجلّد الأول من كتاب **الفولكلور المصري: يوميات عالم ألماني في الريف المصري** لـ هانز فينكلر، بترجمة تقديم وتعليق محمد الجوهري. يضمّ الكتاب أكبر مادّة عن فولكلور مصر بعد كتاب الإنكليزي إدوار لين «عادات المصريّين المُحدثين» (1836)، لكنّه يتميّز عنه بوجود خطّة واضحة الأهداف، وبهذا يتخطّى العمل كونه مجرّد عملية تجميع وتسجيل تستهدف التعرّف على التاريخ الحضاري والواقع الاجتماعي، وبهذا يصبح الكتاب من أبرز المراجع حول التراث الشعبي في مصر وجواراتها.